

تقنيات الحجج البيانية في خطب السيدة الزهراء (عليها السلام)

## Techniques of Rhetorical Arguments in Lady Zahraa's (pbuh) Sermons

م. عصام راضي حسون<sup>(١)</sup>

Lect. Isam Radhi Hasson

### الخلاصة

أعتمدت خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) في مضمونها على الحجج اللغوي والبلاغي والمنطقي، بوصفهم آليات وتقنيات الحجج المعتمدة، والتي نجدها في أكثر الخطابات الوظيفية التي يؤديها في الخطاب، والمقصد الذي يرمي إليه، وقد أصبح من الموضوعات التي احتلت وحظيت مكانة مرموقة واهتماماً واسعاً في الدراسات العربية، وذلك بالبحث في اشكالاته واطره ومنطقاته لدى الدارسين الغربيين، حيث يقع الحجج في صلب نظريات تحليل الخطاب، باعتبار الخطاب نسقا من العناصر الداخلية الصوتية والصرفية والتركيبية وحتى البلاغة الفنية والمنطقية.

ومن يعود لمضامين خطب السيدة الزهراء (عليها السلام) وعلاقتها بما يحيط النص الخطابي يجد أنها بنت خطابها على أساس تقنيات بيانية وحجاجية مركزة تفردت بها من دون خطيبات عصرها فقد شكلت أول (منظمة مجتمع مدني نسوية) في التاريخ الإنساني عندما جمعت النساء الراغبات بإقرار الحق المعتصب، والمطالبة به وإعادةه إلى أهله.

---

١ - جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

ووظفت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في خطابها بشكل ملحوظ، لأن ذلك يمنح الخطاب الحجة الواضحة والبرهان القاطع والدليل القوي لكل المتلقين.

**الكلمات المفتاحية:** الحجج ، الجدل ، الحوار ، الخطاب ، الحجج اللغوية ، الحجج البلاغية ، البيان .

## Abstract

Abstract The speeches of Lady Al-Zahra (peace be upon her) depended in their content on Al-Hajjaj's linguistic, rhetorical and logical, as they were the approved mechanisms and techniques of Al-Hajjaj, which we find in most of the functional discourses that he performs in the speech, and the goal he aims at, and it has become one of the topics that occupied It has received a prominent position and wide interest in Arabic studies, by examining its problems, frameworks and starting points for Western scholars, where Al-Hajjaj is at the heart of discourse analysis theories, considering the discourse as a set of internal phonetic, morphological, structural, and even technical and logical rhetoric elements. Whoever goes back to the contents of the sermons of Lady Al-Zahra (peace be upon her) and her relationship to what surrounds the rhetorical text will find that she built her speech on the basis of focused rhetorical and argumentative techniques that were unique to her without the preachers of her time. and demand that he be returned to his family. Lady Fatima al-Zahra, peace be upon her, employed the Noble Qur'an and the Noble Prophetic hadith in her speech remarkably, because this gives the speech a clear argument, conclusive proof and strong evidence for all recipients. Keywords of the research ( argumentative techniques in the sermons of Mrs. Zahra Al-Hajjaj as-salaam)

**Keywords:** Pilgrims, Controversy, Dialogue, The speech. , E - Linguistic pilgrims, the Statement

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتجبين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد : فللخطاب بصورة عامة أهمية كبيرة ، ولاسيما عندما يراد له إقناع الآخر والاحتجاج عليه ؛ وعليه فالخطاب عبارة عن منظومة من العلاقات اللغوية التي تعتمد الأطروحة عليها لمواجهة المتلقي ومحاولة التأثير فيه بغية إقناعه .

يتخذ الخطاب القرآني عامة والتقنيات الحججية في خطب الزهراء (عليها السلام) خاصة جملة من الأدوات الحججية التي تدفع بالمتلقي إلى التأثر والإقناع، وبالنتيجة التسليم والإذعان؛ لما يتضمنه في الخطاب ، ومن هنا جاءت فكرة البحث عن التقنيات الحججية في خطب الزهراء (عليها السلام)، إذ حاول الباحث فيها أن يطرح دراسة تضاف إلى الدراسات التي سبقته في الخطاب القرآني .

ولاشك في أن الدراسات المتقدمة على الصعيد اللساني كانت مدعاة للبحث وتفعيل نظرية الحجج وإعادة بنائها والتبشير بها؛ لأنها أصبحت من آليات التواصل والتبليغ والإقناع، فضلاً عن قلة الدراسات

في هذا المجال ، ولاسيما حداثة الدرس الحجاجي في العالم العربي ومحدودية تطبيقاته في الجامعات العربية؛ ذلك لأن الحجاج في الدراسات الحديثة يتمثل بما يسمى بـ ( البلاغة الجديدة ) التي تفيد من الحجاج والتداولية في الكشف عن أسلوبية الاستمالة والتأثير والإقناع.

ووصولاً بما سبق اقتضت طبيعة الخطة أن ينهض البحث بمطالب ثلاثة تسبقها مقدمة وتمهيد يتناول فيه الباحث الحجاج لغة واصطلاحاً، كان المطلب الأول بعنوان (وضوح الألفاظ وسهولتها)، والمطلب الثاني (الدقة والإجادة في اختيار الألفاظ )، والمطلب الثالث (البناء الصوري) . ثم تتبعها خاتمة وثبت بأهم المصادر والمراجع .

وختاماً لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان لكل من مدّ لي يد العون لأتمام البحث ، داعياً من الله العليّ القدير لهم الموفقية والسلامة ومن الله التوفيق .

### تمهيد :

يُعد الحجاج من أهم التقنيات البيانية التي إنماز بها خطاب السيدة الزهراء عليها السلام ، وقبل الخوض في مصاديق تلك التقنية علينا التعريف بها من أجل إجلاء الصورة وإبانة المدلول وتطبيقاته .  
. الحجاج في اللغة :

عرف صاحب اللسان الحجاج بأنه المسلك الذي يوصل إلى القصد ، ورأى انه يدل على المخاصمة والمغالبة اللتين تتطلبان الصلابة ، وهذه الأخيرة مطلوبة في المخاصمة والدفاع عن الرأي ، وهو ما يسعى إليه كل متكلم او منشئ يسعى لإيصال فكرته وإثبات حجته (١) .

والحجاج في القرآن الكريم يُعبر عنه بعبارات وأساليب (تروم الحوار ، وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية ، وقد جمع القرآن الكريم كل تلك الدلالات في ضميمه جامعة هي (الحجة البالغة) (٢) .

وهذا المفهوم القرآني هو الذي يوضح مفهوم الحجاج في الاصطلاح ، بعد ان ننظر في ما قدمه العلماء العرب والغربيين في هذا المجال الفكري الذي بدأ يستقطب الدارسين في شتى أصناف العلوم ، وخصها العلوم الإنسانية لما لها من أهمية في احضار الدلالة وفي إيضاح الدليل ، وفي الإقناع والافهام .  
الحجاج اصطلاحاً:

٢ - ينظر لسان العرب ، ابن منظور : ٢٢٧ / ٢ - ٢٢٨ .

٣ - مفهوم الحجاج في القرآن الكريم \_ دراسة مصطلحية - د . لمهابه محفوظ مبارزة - مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج

لم يكن مفهوم الحجج خافياً على العلماء العرب ، فقد أشار كثير منهم الى الفهم الصحيح له ؛ بل وتحديده في مرادفات مميزة ، مثل الجدل والحوار ، فقد كان عنواناً للمناقشة ولإبداء الآراء والمناظرة وان جاء مختلطاً مع مرادفات مثل الجدل والمحاورة والخلاف وهذا ما يمكن ان نلمسه من نص ابن خلدون عندما تحدث عن الجدل فيصفه بأنه : (هو معرفة اداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج العلماء الى ان يضعوا اداها واحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب) (٤) .

والنص كاشف للخلط بين المصطلحات المترادفة غير ان هذا لا يدل على عدم وضوح الدلالة عند جميع علماء العربية ، فنجد باحثاً عربياً هو محمد حسن فضل الله قد استبدل لفظة الجدل بالحوار في كتابه عن الحوار في القرآن الكريم فهو يقول : ان الجدل ( هو تحول الى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذاتها ، ومن اجل التدرج على الاخذ والرد والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري .... ليعطل قوة خصمه ، لا ليوصله الى الحقيقة او ليصل الى قناعة) (٥) .

وهذا هدف أي خطاب مهما اختلفت أوجه إخراجها الى المتلقي ، وعليه فالحجاج هو مجموعة الأساليب والوسائل التي بما يدرك الخطيب قصده ويحقق غايته في اقناع المتلقي او استمالاته لما يقدمه من آراء وأفكار في شتى صنوف المعرفة ، فالعملية الحجاجية تُشير الى : (وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما اقناع الآخر بوجهه نظره وذلك بتقديم الأسباب والعلل التي تكون حجة مدعومة او داحضة لفكرة او رأي او سلوك ما) (٦) .

فالحجاج يشترط وجود طرفين مختلفين وحجج وادلة وبراهين مختلفة توظف الاقناع او الافهام او التحريض ، او لتوضيح فكرة ما والدفاع عنها . وهنالك طرق وأساليب يتبعها المنشئ منها فكرية وأخرى بلاغية وثالثة عاطفية وكل منها له وظيفة او مجموعة من الوظائف في النص او الخطاب .

وتُعد التقنية الحجاجية من الوسائل المهمة لا سيما في البيانية لتحقيق التواصل بين المتكلم والمتلقي ؛ لأن حسن البيان في الكلام على مراتب فاعلاها مرتبة ماسح أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم

٤- مقدمة ابن خلدون : ٣ / ١٧٦ .

٥- الحوار في القرآن - قواعد واساليبه ومعطياته ، محمد حسن فضل الله ، دار المنصوري ، قسطنطينه ، ١ / ١٨ .

٦- البلاغة والاتصال ، جميل عبد المجيد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م

حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة (٧) .

وعليها يتوقف نجاح النصوص الفنية الناجحة التي لا تفارق نسيج الحجج المؤثرة التي تمتاز بالوضوح والسهولة في نطق الالفاظ والدقة والاجادة في تاليف الالفاظ ضمن المنظومة التركيبية والبناء الصوري واثره في استقطاب عقول ونفوس السامعين .

ونكتفي في هذا البحث بعرض نماذج من خطب السيدة الزهراء عليها السلام وتحليلها على وفق تقنيات الحجاج وفق ثلاثة مطالب تم الإشارة إليها في التمهيد ، وهي ركائز أساس يمكن تعميق البحث فيها ، وكشف مزاياه التي منحت الخطاب تأثيرا في المتلقي ، وهي على النحو الآتي :

المطلب الأول : وضوح الالفاظ وسهولتها .

المطلب الثاني : الدقة والاجادة في اختيار الالفاظ .

المطلب الثالث : البناء الصوري .

### المطلب الأول : وضوح الالفاظ وسهولتها .

شاع في التقنيات البيانية العربية قضية السهولة والتعقيد في نسيج الالفاظ الخطابية والاتفاق ليس ببعيد على الجميع بان الحجاج يحتاج للوضوح وعدم التعقيد في دفع الخصوم ومما لا شك فيه أن صعوبة بناء الالفاظ ، وعدم سهولتها في النطق ، وثقلها ، وعدم وضوحها سيؤدي لنتائج عكسية على المتكلم ، فلا يحقق له النتائج والاهداف المرجوة من الخطاب ؛ ويذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين قوله : ( حُسن التّأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ، ومع سوء التّأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التّعمية ، فاذا كان المعنى وسطاً ، ورصف الكلام جيداً كان احسن موقعا ، واطيب مستمعاً ، فهو بمنزلة العقده اذا جعل كل حُرزة منه الى ما يليق بها كان رائعاً في المرأى وان لم يكن مُرتفعاً جليلاً ، وإن اختلّ نظمه فضئت الحبه منه الى ما لا يليق بها اقتحمته العينُ وان كان فائقاً ثميناً ) (٨) .

وقضية نسج العبارات داخل المنظومة تحتاج لقدرات تتصف بصفات ( الرقة والجزالة او السهولة أو الصعوبة حسب المعاني التي تؤدبها العبارة ، وان العناصر التركيبية التي يرتبط بعضها ببعض في المعنى كأصل وتابع او معنى وضده ، وقد ركبت بنظام دقيق وتأليف مُنسق بحيث لا يتعب القارئ في تبين هذه الأصالة

٧- النكت في اعجاز القران ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران ، الرماني ، تحقيق محمد خلف الله وحمد زغلول سلام ، مصر ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٦٨ م .

٨ - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تح علي محمد البجاوي ومحمد ابي الفضل إبراهيم ، مطبعة البابلي الحلبي ، ط١ ، ١٩٥٢ م ، ص١٦٧ .

بين الأجزاء فينصرف عن المعنى<sup>(٩)</sup> ، وان كان الامر كذلك ، فكيف بنت السيدة الزهراء (عليها السلام) خطبها ، وهل كانت تميل للتعقيد في بناء الالفاظ ام سهولتها ؟ .

الخطاب المنتج بشكل عام قلادة أختير لها زمردا بعناية شديدة ، كي تكتسب القبول والاقناع والتأثير عند المتلقي ، فترتبط الالفاظ بعضها ببعض ، وتتناسق وتتسق مع السابق واللاحق فتشكل قطعة بيانية يقصدها الجميع لتمتع بجمال رصفها ، وقوة تماسكها ، ودقة معانيها.

ومن يعمن النظر في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام في قولها : (( أنتم عباد الله نُصِبُ أمره ونهيه وحمله دينه ووحيه ، وامناء الله على أنفسكم ، وبلغائهُ الى الأمم ، وزعمتم حق لكم ، لله فيكم عهدٌ قدمه اليكم ، وبقية استخلفها عليكم : كتابُ الله الناطق ، والقران الصادق والنور الساطع والضياء اللامع ، بينةٌ بصائره ، مُنكشفةٌ سرائره ، مُنجليةٌ ظواهره ، مُعْتَبَطُ بهِ أشياعه ، قائدٌ الى الرضوان اتباعه ، مؤيدٌ الى النجاة استماعه ، به ننال حجج الله المنورة وعزائم المفسرة ومحارمه المخدرة ، وبينائهُ الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائلهُ المندوبة ، وُخصُّهُ الموهوبة وشرائعهُ المكتوبة ، فجعلَ اللهُ الايمان؛ تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة؛ تنزيهاً لكم عن الكبر))<sup>(١٠)</sup> .

ومن يعمن النظر في نسج العبارات في الخطاب السابق يجد انها وزعت بشكل منظم ذات طبيعة مقطعية منسجمة في موسيقاها من خلال الاسجاع المتفككة ، فاستثمرت السيدة الزهراء التراكيب الإسلامية ذات الطابع الرشيق ، كما في سائر خطبتها اذ نجد مستويات مختلفة في التنظيم والتأليف بين العبارات التي صيغت بشكلٍ فني متصل في فقراته ومحبوكٍ في اجزائه ومتميز باتصال كل جزء من حيث البناء الخارجي (الهيكل) ، ومنظم بتراطبات واتصال الأدوات (المفردات) فنياً من حيث المضمون ، وهذا يدل على أن السيدة الزهراء عليها السلام تمتلك ثروة بلاغية متميزة بثقافة إسلامية<sup>(١١)</sup> .

ولم تقتصر الخطبة على مقطعية منسجمة ، وانما كانت خزناً معرفياً فاتفق المبنى والمعنى والايثاع ، وتبدو قصدية المنشئ واضحة من وراء ذلك ؛ لكون الالفاظ سلسلة مترابطة لتأدية المعنى ، وان عملية إقحام حلقة غير واضحة او غير مفهومة ستستعيد ذهن المتلقي عن مواصلة المتابعة ، ومن ثم دق ناقوس الخطر على عملية التواصل الذهني والعاطفي بعد أن فقدت حلقة من حلقاتها التواصلية ، ومما لا شك فيه أن

٩ - الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، مزودة ومنقحة بالقاهرة ، ط٦ ، ١٩٦٦م ، ص١٩٤ .

١٠ - بلاغات النساء وطرائق كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعار الجاهلية والإسلام ، أبو الفضل احمد بن ابي طاهر بن طيفور (ت ٣٨٠ هـ ) ، النجف الاشرف ، المكتبة المرتضية ، ص١٦ .

١١ - خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري ، زينب عبد الله كاظم الموسوي ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨ م ، ص٥٨ .

نجاح المنشئ في ربط تلك الحلقات يحقق تأثيراً أنياً ومستقبلياً من خلال التصاعد من السلم الحجاجي (١٢).

ثانياً : الدقة والاجادة في اختيار الالفاظ .

عند الانتقال الى استقصاء كيفية المنشئ الجزئية (الدقة والاجادة في اختيار الالفاظ) نجدها حاضرة في كل مفصل من مفصلات النص فلنأخذ على سبيل المثال قولها ﷺ : (استبدلوا والله الذنابي بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فزعموا معاطس قومٍ يحسبون أنهم يُحسنون صنْعاً ، الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٣) ، وبجهم افمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟ أما عمري لقد لقحت لِقحةً فنظرةً<sup>(١٤)</sup>، ريثما تُتجح... (١٥) ، فأبعاد الحجاج في الخطاب واضحة ، استندت على مجموع من القيم البيانية التي لا يمكن مجاراتها او ردها من دون دليل وهي كالآتي :

التوظيفات - الاقتباسات - التضمين :

الاستعانة بالنصوص القرآنية والمتمثلة في مجموعة من السور القرآنية كما في سورة البقرة وسورة يونس ، فاعتمدت كثيراً على القرآن الكريم من خلال توظيفها للآيات القرآنية ، ولعل ذلك يعود لأسباب منها ثقافتها القرآنية التي تغذت عليها وهي تعيش في كنف ابيها الرسول الأمين على الوحي وكذلك دقة الاختيار للالفاظ ، فالآيات القرآنية تتسم بعمق الحجة والقبول والتأثير عند المتلقي أكثر من أي دليل آخر .

الوضوح وعدم التعقيد في بناء الالفاظ ، فذلك يساعد على تحقيق التواصل مع المتلقي (بحيث لا يفوت على السامعين مزية الفهم ولذة التتبع ، ولا يستمهم بالتعقيد والغموض ، وأن يكون مؤدياً الى النتيجة المطلوبة)<sup>(١٦)</sup>.

البناء المتسلسل للأحداث ، وإثباتها بما تستحق من عناية واهتمام كل في محله وموضعه ، وهذا ما يتجلى لنا في أكثر من خطاب ففي قولها عليها السلام ( قاتلم العرب ، وتحملتم الكدّ والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، لا نبرخ أو تبرحون ، نأمركم فتأتمرون حتى اذا دارت بنا رحي الإسلام ، ودرّ حلب الأيام ، وخضعت ثغرت الشرك ، وسكنت فورة الافك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج (والمرج)

١٢ - (السلم الحجاجي) : هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ويتوفر فيها شروط من أهمها كل قول يقع في مرتبة ما من سلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الاقوال التي دونه ، كذلك كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبه دليلاً اقوى عليه .

١٣ - اليقرة : ١٢

١٤ - لسان العرب ، ابن منظور : ٢ / ٢١٥ . يقال لقحت اذا حملت ، النظرة بكسر الظاء التأخير في الامر .

١٥ - يونس : ٣٥ .

١٦ - الخطابة في عصر صدر الإسلام ، محمد طاهر درويش ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، ط ١ ، ص ٢٦ .

، واستوسق نظام الدين ، فأنى حرتم بعدَ البيان ؟ واسرتم بعد الإعلان ؟ ونكصتم بعدَ الايمان ؟ بؤساً لقوم  
نكنوا إيمانهم من بعد عهدهم....(١٧).

فمن ينعم النظر في الخطاب يجد ان البيان في الالفاظ جاء متناغماً مع الحجج المقدمة العقلية والنقلية  
وهي سلام الله عليها متعرضة لمرحلتى الإسلام والانقلاب (إذ بدأت بعرض موضوع خطبتها بدقة ، مختارة  
لذلك الالفاظ المناسبة ، ذاكرة للأدلة والبراهين المقوية لحجتها مما أدى الى قوة الخطبة ورسالتها بكلّ ما حوته  
من أدلة منطقية مبنية على مقدمة ثابتة يقينية ناشئة عن اقتناع ويقين عقلي) (١٨).

ثالثاً : البناء الصوري :

منْ يعن النظر في جزئية (البناء الصوري) في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام ، وكيف وظفتها في  
خطابها يشخص بوضوح أهمية الجانب البياني في تثبيت الحجة واهمية الأساليب البلاغية التي قد يتم عزلها  
عن السياق البلاغي لتؤدي وظيفة اقناعية استدلالية ، ومن هنا يتبين ان معظم الأساليب البلاغية تتوافر  
على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية (١٩) .

وهذا ما يبدو لنا من خلال توظيف المنشئ أساليب بلاغية عدة منها :

. الفن الاستعاري - الفن الكنائسي

. الفن الاستعاري :

الاستعارة تُعرف على أنها : هي استعمال لفظ في غير ما وضع له ؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من  
إرادة المعنى الأصلي الذي وضع اللفظ له (٢٠) ، وجوهرها في التوظيف داخل النصوص الخطابية لا يقوم  
على استبدال لفظي لكلمات معينة بقدر ما هو تفاعل بين السياقات المختلفة (٢١) .

وهذا ما أكده المحدثون عندما اقروا ان امر الاستعارة (لا يتعلق بعملية إحلال بقدر ما يتصل بعملية  
تفاعل فالمعنى الأساسي لا يحتفي ، والا لم تكن هناك استعارة ، ولكنه يتراجع الى مستوى ثانٍ خلف المعنى  
الاستعاري) (٢٢) .

فالصورة الاستعارية تتفاعل في مكوناتها البنائية داخل السياق تفاعلاً يحدث عملية التأثير والتأثير داخل  
النصوص الفنية (٢٣) ، وقيمة هذا التفاعل بين طرفي الاستعارة تكمن في قدرة المنشئ في انتاج صور جديدة

١٧ - بلاغات النساء : ١٨

١٨ - خطب سيدات البيت العلوي : ٩٦ .

١٩ - التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، صفحات للطباعة والنشر ، سوريا : ط ١ : ٢٠٠٨ م ، ص ٥٠ .

٢٠ - ينظر : مفتاح العلوم : ص ٣٥٩ .

٢١ - ينظر : اسرار البلاغة : ٤١ .

٢٢ - بلاغة الخطاب وعلم النص : ص ١٦٦ .

٢٣ - ينظر : الصورة الفنية ، جابر عصفور ، ص ٢٧٣ .

غير معهودة عن طريق تغيير علاقات اللغة<sup>(٢٤)</sup>. تدفع بالمتلقي الى إعادة التأمل في الأشياء برؤية جديدة تُثير الاحاسيس وتعمق المعنى<sup>(٢٥)</sup>، وتقسم الاستعارة على قسمين الاستعارة المكنية مالم يصرح فيها بلفظ المشبه به مع ذكر لازمه من لوازمه، والاستعارة التصريحية ما صُرح فيها بلفظ المشبه به<sup>(٢٦)</sup>.

ومن مصاديق هذا الفن في خطب السيدة الزهراء عليها السلام قولها: (نجم قرنُ الشيطان او فغرت فارغة من المشركين، قذف اخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطاء بأخصه)<sup>(٢٧)</sup>. والرابط بين النقطتين (النجم) والذي ينماز بالضوء، وبين (قرن الشيطان) والذي ينماز باللون الأسود، وصورة لا يمكن ان تلتقي او تجتمع الا بيد مبدع، فلكل منهما سمتة الخاص التي لا يمكن ان تلتقي مع الأخرى، ولكنها نسجت لنا صورة جديدة؛ لتمنح حجتها بياناً ورغبة في التأمل؛ لذلك (استعارت لفظة (نجم) بقولها: (نجم قرن الضلالة) لمن يخرج من الناس مُبتغياً الفتنة والشر، والنجم بمعنى طلع او ظهر، وهذه أيضاً استعارة مكنية حسية ثم إن الخطيبة ارادت ان تُركز الصورة الموحية على شدة وطأة اهل الشرك فأتت بلفظة (فغرت) وهو للحية او السبع، وهذه صورة حسية حركية، ومما يلاحظ ان هذه الاستعارة المكنية يعول عليها بنقل المعنى المجرد غير الحسي للوحشية والاعتداء من قبل المشركين، عبر استعارة لفظة (فارغة) وهو لازم من لوازم المشبه به المحذوف (الوحش) استعارته للمشركين (المشبه) الذي اريد به تصوير وحشيته بدقة وحس مدرك في الازهان عبر صورة حسية حركية بصرية اشبعت حركة وحشية وفي قولها: (( قذف اخاه في لهواتها) الإحكام وعدم التخلص استعارة لفظة (لهواتها) وهي جمع لهة التي هي مركز الفم، لمعنى غاية الحرب وشدتها، وأرادت بذلك ان توضح انه قذف أخاه في مركز الحرب او الفتنة حيث لا مفر ولا مخلص، وهذه استعارة مكنية حسية بصرية، فلوقوف على الشيء او وسطه فيه إشارة الى عظيم التضحية وتوطين النفس على الاستشهاد<sup>(٢٨)</sup>.

ويمكن القول نتيجة لما تقدم في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام بأنها ادركت بشكل كبير مالفن الاستعاري من اثار جمالية الا ان الجوانب الحجاجية لها السبق في قصديتها وحجاجها، فوظفتها لتثير البدهاة العقلية وقدمت فيها الحجاج على الجمال<sup>(٢٩)</sup>، فسجت نصوصها بخاصية الحجاج المؤطرة بأسلوب بلاغي قادر على النفاذ الى المتلقي الذي هو مقصد الخطيب.

٢٤ - ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣، ص٦٥.

٢٥ - ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ط١، ٢٠١١م

٢٦ - ينظر: علم أساليب البيان، ص٢٤٩، معجم البلاغة العربية، ٣٣٥، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط١،

ص١٤٢

٢٧ - بلاغات النساء، ص١٣.

٢٨ - ينظر: خطب سيدات البيت العلوي: ١٠٤

٢٩ - دراسات في الحجاج، سامية الدريدي، ١٢٦.

## الفن الكنائي :

يُعد التصوير الكنائي فناً من فنون التواصل البياني واثار الذهن عند المتلقي فهي لا تصرح بإرادة المتكلم للاشياء ، وانما تقوم على أساس ان تتكلم بشيء وتريد غيره وكفى عن الامر بغيره يكتفي كناية ، يعني اذا تكلم بغيره مما يستدل عليه (٣٠) .

وهذا المفهوم ما عُرِف عند اغلب علماء اللغة ، وهو لا يختلف عن تعريفه الاصطلاحي : من خلال ذكر لوازم الشيء النجاد والرماد ، فهو (ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلاً عليه ) (٣١) ، ويتجلى هذا الفن في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام في قولها في استعارة البلاغة (( حتى يطأ صماخها بأخصوه) (٣٢) .

فهذه العبارة غير المباشرة تمثل صورة معمقة عن (القوة) ومظاهر السيطرة ، والتي تثير عقل المتلقي ، وتجعله يبحث عن المعنى ، الذي كُتبت عنه بلفظ (الصماخ) ومن ثم كشفه يعمق المعنى فيولد لديه قناعة بما يطلق من حجج المتكلم تفوق المعنى المرسل بشكل مباشر بسيط ، فنسجت صورة تفاعلية ذات طابع حركي يعبر عن (السيطرة والاقْتدار في شخص الامام علي عليه السلام مُستعينة في ذلك بأسلوب البيان ، فكانت الكناية بالاستعارة اذ استعارت صفة الراس للحرب او الفتنة ثم شخصتها عبر استعارة مكنية ثم رشحت الصورة بلازم من لوازم السيطرة على الراس عبر الفعل ( يطأ) الذي حشد هذه الاستعارة مع الكناية عن تمام السيطرة والاقْتدار ، فجاءت صورة حسية حركية ، وظفت فيها أساليب البيان في الاستعارة والكناية ، واستفرت طاقة هذين الاسلوبين في نقل المعنى المجرد للسيطرة من حالة التعاطي الذهني الى مرحلة المشاهدة الحسية الحركية التي تؤكد المعنى في النفس وتُقرِّبه الى التصديق بالمعاني والحركة(٣٣) .

وتطالنا صورة حركية ذات طبيعة كنائية في قولها ﷺ : ( فرغماً لمعاطس قوم يحسنون انهم يحسنون صنعاً الا انهم هم المفسدون) (٣٤) .

فتمزج بين واقع القوم ، وفرحهم الذي لا يتناسب مع ما هم عليهم من جانب ، وبين الحقيقة التي لا بد ان تدركها عقولهم ، فهم تصوروا ان أعمالهم جيدة ، وسكوتهم عن الباطل يحصد لهم المغام والسعادة

٣٠ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (كفى) : ١٥ : ٢٣٣ .

٣١ - دلائل الاعجاز : ٦٦

٣٢ - بلاغات النساء : ١٣

٣٣ - خطيبات البيت العلوي ، ١٠١ .

٣٤ - نثر الدر في المحاضرات ، الوزير الاديب أبو سعد بن الحسين الابي (ت ٤٢١ هـ) ، تح : خالد عبد الغني محفوظ : منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، وينظر : الاحتجاج : أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، تح : الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي : بإشراف العلامة الشيخ جعفر السبحاني : دار الاسوة للطباعة والنشر ، قم ، ط ٤ ، ٢٩٠ .

الحقيقية والعيش بحرية ووقار هي رفض الذل والهوان ومقاومته ، ومن اجل ان تعمق هذا المعنى نسجت صورتها الكنائية بنقلها (المعنى المجرد للادغام الى واقع المشاهدة الحسية من خلال صورة حسية حركية ، تُكفي فيها عن معنى الاجبار والاذلال في حركة القهر عندما يرغم الانف اضحي مُبتدلاً ، لذلك عدلت الى المعطس ، وهذه كناية واضحة منها عليها السلام عن الاذلال بواقع حسّي حركي لا يمكن انكاره) (٣٥) ويبدو لنا مما تقدم اثر الفن الكنائي في تعميق المعنى في ذهن المتلقي ودفعه نحو الإقرار بحجاج المتكلم لا سيما عندما يتقن المتكلم بناء صورة بيانية .

### الخاتمة والنتائج :

من يعود لمضامين خطب السيدة الزهراء عليها السلام وعلاقتها بما يحيط النص الخطابي يجد انها بنت خطابها على أساس تقنيات بيانية وحجاجية مركزة تفردت بها من دون خطيبات عصرها فقد شكلت اول (منظمة مجتمع مدني نسوية) في التاريخ الإنساني عندما جمعت النساء الراغبات بإقرار الحق المغتصب ، والمطالبة به واعادته الى اهله .

وظفت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام القران الكريم والحديث النبوي الشريف في خطابها بشكل ملحوظ ، لان ذلك يمنح الخطاب الحجة الواضحة والبرهان القاطع والدليل القوي لكل المتلقين .

كشف البحث العلاقة اللصيقة بين (البيان) و (الحجاج) ، كون الأخير يتواشج في جذره بما تتطلب وتستدعيه أساليب اللغة من جهة ، وكذلك قدرة المتعاطي للبيان في توظيف تلك المعطيات اللغوية من جهة أخرى ، لخدمة الموقف كون العلاقة متبادلة بين الاثنين ، لحصد ثمار النجاح وتحقيق الهدف او الغاية المنشودة القائمة على التأثير في المخاطبين واقناعهم .

. ويمكن القول نتيجة لما تقدم في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام بانها ادركت بشكل كبير ما للفن الاستعاري من اثار جمالية الا ان الجوانب الحجاجية لها السبق في قصديتها وحجاجها ، فوظفتها لتثير البدهة العقلية وقدمت فيها الحجاج على الجمال ، فنسجت نصوصها بخاصية الحجاج المؤطرة بأسلوب بلاغي قادر على النفاذ الى المتلقي الذي هو مقصد الخطيب .

الصورة الاستعارية تتفاعل في مكوناتها البنائية داخل السياق تفاعلا يحدث عملية التأثر والتأثير داخل النصوص الفنية ، وقيمة هذا التفاعل بين طرفي الاستعارة تكمن في قدرة المنشئ في انتاج صور جديدة غير معهودة عن طريق تغيير علاقات اللغة . تدفع بالمتلقي الى إعادة التأمل في الأشياء برؤية جديدة تُثير الاحاسيس وتعمق المعنى ، وتقسم الاستعارة على قسمين الاستعارة المكنية مالم يصرح فيها بلفظ المشبه به مع ذكر لازمة من لوازمه ، والاستعارة التصريحية ما صرّح فيها بلفظ المشبه به.

## المصادر والمراجع :

### . القرآن الكريم .

- . الاحتجاج : أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، ( ت ٥٢٠ هـ ) ، تعليقات محمد باقر الموسوي الخرساني ، منشورات ذوي القربى ، قم ، ايران ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
- . أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ ) تح ، عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- . الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الأدبية : د. احمد الشايب : مكتبة النهضة المصرية : مزيدة ومنقحة بالقاهرة : ط ٦ : ١٩٦٦ م .
- . بحار الانوار الجامعية لدرر اخبار الائمة الاطهار : للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ( ت ١١٠ ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م .
- . بلاغات النساء (وطرائف كلامهنّ وملح نوادرهنّ واخبار ذوات الراي منهنّ ) واشعارهنّ في الجاهلية والإسلام ، أبو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور ، ( ت ٣٨٠ هـ ) النجف الاشرف ، المكتبة المرتضية .
- . بلاغة الخطاب وعلم النص ، د صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٢ م .
- . البلاغة والاتصال ، جميل عبد المجيد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- . التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحبايشة ، صفحات للطباعة والنشر ، سوريا ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- . التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية ، هادي سعدون هنون ، العتبة العلوية المقدسة ، النجف الاشرف ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- . الحجج في الشعر العربي بنيتة واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ٢ ، ٢٠١١ م .
- . الحوار في القرآن الكريم ، قواعد اساليبه معطياته ، محمد حسن فضل الله ، دار المنصوري ، قسطنطينه ، د.ت .
- . الخطابه في عصر صدر الإسلام ، محمد طاهر درويش ، دار الجيل للطباعة ، مصر .
- . دراسات في الحجج ، قراءة لنصوص مختارة من الادب العربي القديم ، سامية الدريدي الحسيني ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، اريد ، ٢٠٠٩ م .
- . دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ ) تح ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م .

. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة ، وزارة الأوقاف ، عمان ، ١٩٧٩ م .

. علم أساليب البيان ، غازي يموت ، دار الاصاله ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تح : علي محمد البجاوي

، مطبعة البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٩٥٢ م .

. مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي ، (ت ٦٢٦هـ) ضبطه

وشرحه ، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

. مقتل الخوارزمي ، أبو مؤيد الموفق بن احمد اخطب خوارزم ، تح محمد السماوي ، منشورات انوار

الهدى ، قم المقدسة ، ط ٣ ، ٢٠٠٥ م .

. ماخطاب وكيف نخله ، عبد الواسع الحميري ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط ١ ،

٢٠٠٩ م

. معجم البلاغة العربية ، بدوي طبانه ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع

، الرياض ، ١٩٨٨ م

. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ م .

. نثر الأدرني المحاضرات ، الوزير الاديب أبو سعد منصور بن الحسين الابي ، تح : خالد عبد الغني محفوظ

: منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

. النكت في اعجاز القران ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران : الروماني : تح محمد خلف الله ومحمد

زغلول سلام ، مصر ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٨ م .

. لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري ، دار

صادر ، بيروت : ط ١ : د : ت .

### . البحوث :

. مفهوم الحجاج في القران الكريم ، دراسة مصطلحية ، لمهايه محفوظ ميادة ، مجلة مجمع اللغة العربية ،

دمشق ، العدد ١٢٢ ، ١٩٩٨ .

. وسائل الحجاج في خطب الامام علي بن الحسين عليهما السلام ، هادي سعدون هنون ، بحث

منشور في مجلة دراسات الكوفة ، العدد ٣٣ ، ٢٠١٤ م .

الرسائل الجامعية :

. خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري ، زينب عبد الله كاظم الموسوي ،  
رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨ م